الأربعاء: 2023/11/15
التّوقيت: 13:10 – 14:20
عن بعد

الدرس رقم 02: فكرة النّظم لدى بعض اللّغويين

النظم هو الجمع والضم والاتساق والنظام والتأليف.

قال ابن منظور: "النظم: التأليف، نظمه نظما ونظاما ونظمه فانتظم وتنظم، ونظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك والتنظيم مثله ومنه نظمت الشعر ونظمته، ونظم الأمر على المثل، وكل شيء قرنته بآخر أو ضمت بعضه إلي بعض قد نظمته، والانتظام والاتساق".

والنظم عند **الفيروز آبادي**: هو التأليف، وضم شيء إلى شيء آخر، ونظم اللؤلؤ ينظمه نظما ونظاما ونظمه: ألفه وجمعه في سلك فانتظم ...".

فالمعني اللغوي المشترك هو ضم الشيء إلى الشيء، وتنسيقه علي نسق واحد، كما تضم حبات اللؤلؤ بعضها إلى بعض ونحوه. وهذا هو الفلك الذي دار فيه المعنى الاصطلاحي للكلمة، فقد دارت كلمة النظم بمفهوم اصطلاحي عند المتكلمين في حديثهم عن الاعجاز القرآني وأصبحت نظرية كاملة عند عبد القاهر الجرجاني، والزمخشري وأساسها المعنى اللغوي الذي هو ضم الشيء إلى الشيء وتناسقه.

فقد تكلم **الخطابي** في النظم بالمعنى اللغوي الذى يعنى الضم والاتساق والخطابي يرى أن نظم القرآن أشد تلاؤما وتربطا من أي نظم آخر.

ونرى كلمة النظم التي هي الضم مصطلحا عند **القاضي عبد الجبار** حيث يقول عنه في معنى الفصاحة: "أعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة ...". لا شك أن تعريف **القاضي عبد الجبار** للفصاحة بالضم على طريقة مخصوصة هو المعنى المراد لكلمة النظم، لذلك نجد عبد القاهر بعد ذلك يجعل البلاغة والفصاحة مترادفتان في المعنى والمقصود بهما النظم.

وهكذا تتبين الصلة الوثيقة بين النظم اللغوي ومعناه الاصطلاحي، بين ذلك المدلول اللغوي الذى يعنى ضم الشيء إلى الشيء كما تضم حبات اللؤلؤ في سلك، وهذا المفهوم الاصطلاحي الذى يعنى التأليف للكلام ونظمه ومراعاة القواعد النحوية وإحكامه وسنن اللغة العربية.

وأشار **سيبويه** (ت 180هـ) إلى كلمة التأليف التي هي مرادفة لكلمة النظم، ولم يتعد مفهومها تأليف الجملة الواحدة إلى الجمل بعضها مع بعض، ويتضح ذلك مما ذكره في باب (أسماء القبائل والأحياء وما يضاف إلى الأب والأم) حيث يقول: "فإن قلت: هذه تميم، وهذه أسد، فإنك تريد ذلك المعنى، غير إنك إذا حذفت المضاف تخفيفا كما قال الله عز وجل (وأسال القرية) ... فأنت لم تغير ذلك المعنى وذلك التأليف".

ويقول الدكتور **أحمد سعد** في ذلك: "إن مقصود سيبوبه من كلمة التأليف هنا هو نظم العبارة أو تأليف الجملة، انطلاقا من متجهه النحوي الذى لم يكن يعني إلا بتركيب الجملة وحدها دون تركيب الجملة مع الجمل الأخرى".

وإذا كان النظم قائما على توخى معاني النحو التي استنها النحاة من سنن العربية في استقامة الكلام وحسنه وقبحه، فإنها تقاس عند سيبويه على ذلك المقياس، فقد ذكر سيبويه في باب (الاستقامة من الكلام والإحالة): "فأما المستقيم الحسن فقولك: اتيتك أمس، وسآتيك غدا، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ فى غير موضعه نحو قولك: قد زيدا رأيت....

فإن الكلام المستقيم –عنده–هو الذى وضعت كل لفظة منه فى موضعها المقدر لها في عرف اللغة، أما المستقيم القبيح فهو ذلك الكلام الذى لم يرع قوانين اللغة، فوضعت ألفاظه في غير ما قدر لها.

ويرى الدكتور **أحمد سعدان** سيبويه قد اتخذ مصطلحي (الحسن والقبح مقياسا يرد إليه صحة التأليف وفساده، مرادفين لما عناه عبد القاهر بصحة النظم وفساده فيما بعد، أو لما عرف بصحة التأليف عند البلاغيين من بعده.

بناء على ما تقدم نجد بأن فكرة النظم عند بسيبويه بلغت أوجها، حيث تحدث سيبويه عن معنى النظم بحديثه عن ائتلاف الكلام أي:

* المستقيم الحسن: سأأتيك غدا.

* المستقيم المحال: أتيتك غدا.

* المستقيم الكذب: حملت جبلا.

* المستقيم القبيح: قد زيد رأيت.

* المحال الكذب: سوف أشرب ماء البحر أمس.

يبين سيبويه من خلال حديثه عن مستويات الكلام أن اللغة نظام، حيث تندمج في توائم حميم قوانين النحو مع قوانين الدلالة، أو بعبارة أخرى قوانين المعنى النحوي الأولي وتمثله الوظائف النحوية المختلفة مع قوانين دلالة المفردات الأولية وتمثلها الدلالة المعجمية للكلمة.

ومن الموضوعات التي تحدث عنها سيبويه والتي تندرج ضمن نظم الكلام التقديم والتأخير يقول: "وزعم الخليل –رحمه الله– أنه يستقبح أن يقول: قائم زيد، ذلك إذا لم تجعل قائما مقدما مبنيا على المبتدأ، كما تؤخر وتقدم فتقول: ضرب زيد عمرو، وعمرو على ضرب مرتفع، وكان الحد فيه أن يكون مقدما وهذا عربي جيد، وذلك قولك: تميمي أنا ومشنوء من يشنؤك وجل عبد الله، وخز صفتك".

ويفهم من هذا أن الكلام إذا لم يكن مبنيا على أصول النحو وقواعده ومراعاة ما يقتضيه المقام، فإنه يؤدي إلى اللبس أو إلى المحال، ومن هنا فإن اختيار الكلمات لا يكون عشوائيا

حسب هوى المتكلم، بل يكون خاضعا للنظام اللغوي وما يضمنه من قوانين ومناهج نحوية تجعل تركيبا لغويا ما يتصف بالانتظام والنسقية من عدمها.

ويجب الإشارة في هذا السياق إلى أن التقديم والتأخير موضوع مشترك بين النحو والبلاغة أشار فيه سيبويه إلى أنه يأتي لأغراض بلاغية للعناية والاهتمام، أو للتأكيد، كما يأتي لأغراض غير بلاغية.

مما تقدم يتبين لنا أن سيبويه لم يشر إلى مصطلح النظم ولكنه لمح إليه بكلمة الاستقامة أي تحدث عن مفهوم النظم مراعيا فيه أحوال النحو وأهمية النظم في تأليف الكلام، كما أشار سيبويه إلى مبدأ إقامة العلاقات السوية بين الألفاظ والمعاني، أو ائتلاف الكلام وما يؤدي إلى صحته وفساده.